النواب وموسم الثقة.. أمنيات



□ أ.د. عدنان هياجنة*

● اكتب إلى السادة أعضاء مجلس النواب ونحن نمر بمرحلة الاستماع وليس الاستمتاع بمناقشتكم لبيان حكومة القاضي عون الخصاونة بصفتي مواطنا يرغب بايصال فكرته إلى أعضاء مجلس النواب الذين لم نعد نراهم إلا على شاشة التلفاز أو في المناسبات القليلة فلا يتواصلون معنا ولا يرجعون إلى قواعدهم إلا ما ندر في حالة شاذة على حد علمي قام بها النائب عبد الله النسور.

ارجعوا إلى قواعدكم لمعرفة ما نريد تجاه بيان الثقة قبل أن تبدأوا خطاباتكم وكأن لديكم معرفة بما نريد؛ فالأساس في الديمقراطية التمثيلية أنكم تمثلون آراءنا وليس آراءكم وتنقلون تصوراتنا لا تصوراتكم وهمومنا وليس همومكم إذن أنتم مسؤولون فقط لإيصال ما نريد وبالتالي تكونون قد قدمتم خدمة للوطن.

نحن لا ننسى أننا أخذنا منكم المال القليل مقابل منحكم أصواتنا في مرحلة تاريخية سبقت الربيع العربي وكنا وما زلنا في ضائقة مالية وجوع عندما أكلنا من مناسفكم على لحومنا التي ندفع فيها الثمن. نعرف أن بعضا منكم استغل ضعفنا واستغل مشاعرنا في مرحلة ما قبل الحياة المدنية وعزفتم لنا معزوفات عن الوطن وعن الحقوق وعن غيرنا وصدقنا لكننا لمن نكن أولوية بالنسبة لكم...كنا مطية لوصولكم إلى عمان وحصولكم على الألقاب والدعوات وكنا نفكر أننا أرسلنا الأفضل إلى مركز صنع القرار ليدافع عنا.

قبل إعطائكم قرار حجب الثقة أو الامتناع أو المنح فكروا بنا... فكروا بالوطن... لا تفكروا بأنفسكم. قد يكون لديكم ردود فعل على منحكم أحد الحكومات ثقات ذهبية وغيرها من المسببات الشخصية، لكن نرجو في هذه المرحلة أن تكون ثقة لبرنامج وطن أكثر من برنامج حكومة. طبعا النظام الداخلي الذي لا تدون فيه آراؤكم وقراراتكم يعمل لصالحكم لكن سنسجل كل قرار تقومون به وسنحاسبكم يوم الحساب ...وهو غير بعيد كما تعلمون.

لا تمارسوا معنا ثنائيات مللنا منها تقولوا لنا شيئا وتفعلوا شيئا آخر. تنتقدون الحكومة أمامنا وتطلبون منها طلبات شخصية من دون علمنا. لا تضطروا كما تفعلون دائما إلى انتقاء الكلمات وزيادة حدة اللهجات وتسليم الطلبات إلى أمانة المجلس لأن الوقت لا يتسع لعرض التحديات.

أن لم يتسع الوقت لمطالبنا فما جدوى وجودكم ووجود الحكومة؟ أمامكم فرصة ذهبية ونحن نعرف أنكم اكتسبتم الخبرات في التحقيق في قضايا الفساد في أكثر من عشر قضايا لم تصلوا فيها إلى نتيجة ولم نر أيا يذهب إلى السجن أو مالا عاما يعود إلى الخزينة.

لاحظوا أهمية الاستقرار في التشريعات في كل همومنا، فهل سهلتم علينا الحياة على الأقل باستقرارها؟ لا تكونوا مطية لحكومات ولعابري الطريق من أجل مصالحهم الشخصية ومصالحكم كما هو الحال في بلدنا. لا نريد استحداث جامعات أو مستشفيات أو مؤسسات... نريد فقط تحسين الخدمات.

مجرد أمنيات لمن أرسلناهم إلى عمان لتمثيل مطالبنا أن يحاكموا الحكومات من أجلنا، فهل النواب على قدر المسؤولية الوطنية للعب دور مهم في اغتنام الفرصة الذهبية والمرحلة الانتقالية ليقدموا شيئا جديدا وابتكاريا وإبداعيا؛ فمشكلاتنا هي نفس المشكلات والخطابات هي نفس الخطابات والبيانات هي نفس البيانات وها نحن نبقى في نفس المرتبات ونفس التحديات ويضيع الوقت على تغيير التشريعات والمناقشات والحوارات...

إن الحاجة ملحة لمجلس يملك زمام الأمور وأول ما يمكن أن يقوم به هو تغيير الخطاب التقليدي إلى خطاب يعبر عن قدرة فائقة في الابتكار والإبداع، فهل نحن نطلب الكثير؟ نرجو أن لا نكون بين فكي حكومات ومجالس نواب اتفقوا علينا ولا احد منهم يرحمنا؟ ولا نصل إلى مرحلة أكبر من "القهر" الذي وصلنا إليه حسب تعبير رئيس مجلس النواب في أول مقابلة تلفزيونية معه.

لا نريد نظريات ولا تبريرات ولا تخويفات لا من الوضع الإقليمي ولا الدولي... لأنها أصبحت من الثوابت... نريد أن تكونوا أنتم... نحن الشعب... مع أطيب التحيات.0

* أستاذ العلوم السياسية بالجامعة الهاشمية
hayajneh1@yahoo.com

حجاني حديث

Farzat2011@hotmail.com

«استهبال» الشعب

● طموحات الشعوب العربية قبل الثورات كانت بسيطة جدا، ولكنها حين قوبلت بـ"التطنيش"، أصبحت كبيرة، فغالبا ما كانت البلدية هي الضحية الأولى في هذه المطالب، مثل: "تزفيت" شارع، رخصة كشك، فك حجز عربة خضار.

ولو أدركت بعض الأنظمة حينها أن هذه المطالبات كانت تخفي وراءها، ما هو أعظم، وبأن الوضع سيصل إلى كل هذا الغليان، لكانت نزلت بنفسها إلى الشارع لتسجل قائمة طلبات الشعوب.

طيبة الانسان العربي، هي التي شجعت بعض الأنظمة على الديكتاتورية والقمع. وتصل هذه الطيبة في كثير من الأحيان إلى درجة السذاجة التي يستغلها لصوص وفاسدون لبناء ثروات هائلة.

ولأن الانسان العربي طيب إلى الدرجة التي "يسرق فيها قط الحكومة عشاءه"، فهو لا يشمت بلصوص النظام المخلوع حين يصبحون في موقف الضعيف، بل أول كلمة يقولها الشعب الطيب حين يسمع بخبر زج هؤلاء الفاسدين في السجن، أو يسحلون في الشوارع: "اللهم لا شماتة".

مشكلة هذه الأنظمة، أنها فسرت طيبة الشعوب على أنها سذاجة، فـ"ساقت" فيها واستهبلت الناس وكانت مثل مراهق نصاب تزوج من عجوز ثرية، ثم راح يغازلها بكلمتين، ليستولي على ثروتها!.

الشعوب طيبة، وقد تستكين لفترة اما بمزاجها، او مداراة لوضع ما، ولكنها إن حكت.. حكت!0

* كاتب سوري مقيم في الكويت



□ عدنان فرزات*

دور مصر.. حديث هادئ مع التاريخ

● يُثير دور مصر تساؤلات عدّة منها مَنْ يرى أنَّ هذا الدور تراجع، ومنها مَنْ يرى أنَّ هذا الدور انتهى لتغيُّر الظروف وتغيّر مراكز القوى، ومنها مَنْ يرى أنَّ هذا الدور لم يتراجع ولم ينته، وإنمَّا تغيّر فأصبح التركيز على القوّة الناعمة بأكثر من تركيزه على القوّة الخشنة أو على القوّة الدعائية والشعارات الثوريّة. الكاتب والصحافي فتحي خطاب مدير مكتب جريدة "العرب اليوم" الأردنية في القاهرة في أحدث كتبه بعنوان "دور مصر.. حديث هادئ مع التاريخ" الصادر بالقاهرة عام 2011 والذي صدرت منه طبعتان في غضون شهور معدودة من عام 2011، أوضح أنّ مصر مسكونة بروح التاريخ وعبقرية المكان، وقدَّم تحليلاً علمياً مفصلاً لهذه المقولة، ويهمنا أن نعرض باختصار لأهم النقاط التي هي ذات الدلالة التي تناولها الكاتب: الأولى: انَّ التاريخ ليس علم الماضي بل هو علم المستقبل، وإنَّ هذا ما يميز التاريخ كعلم عن الأساطير المرتبطة بالتراث، ويستشهد بمقولة الفيلسوف الصيني الأشهر كونفوشيوس "ادرس التاريخ إذا كنت تُريد أن تعرف المستقبل"..

والثانية: انَّ ثورة 25 يناير أعادتْ إحياء مقولات تراجع الاهتمام بها مثل دور مصر، ودور الأزهر، ودور الثقافة المصرية، وإنَّها بعثت الحياة لهذه الأدوار من جديد.. والثالثة: أطلق الكاتب على النظام المصري الجديد الجمهورية الثالثة، وأنَّ ملامح هذه الجمهورية تحدَّدت معالمها في الشعارات والأطروحات التي رُفعت أثناء ثورة 25 يناير. ويرى أن الجمهورية الثانية بعد أكتوبر 1973، والأولى مع ثورة يوليو.. والنقطة الرابعة: يفرق الكاتب بين مفهوم الدور وبين ممارسة الدور، ويرى أنَّ الدور قائم والممارسة هي التي تراجعت في فترة الرئيس المخلوع حسني مبارك، وخاصّة في السنوات الأخيرة له، ولكنَّ هذا التراجع في الممارسة يعود للظهور عندما تتأزم الأوضاع العربية، ويفرض هذا التأزم تحدّيات، كما حدث في غزو العراق للكويت في آب عام 1990، أو في ضغوط إيران ضد البحرين أو في الممارسات الإيرانية في دول الجوار المصري مثل السودان أو فلسطين.. والخامسة: انَّ دور مصر عبر التاريخ ارتكز على محورين هما عناصر القوة الاستراتيجية والموقع الاستراتيجي، وهذا ليس أمراً جديداً بل منذ عهد تحوتمس الرابع حيث برز دور القوّة الاقتصادية المصرية.

وهذا البُعد المرتبط بالموقع هو الذي دعا الجغرافي المصري المشهور جمال حمدان لكتابة موسوعته "عبقرية المكان" وتناول ذلك عبر التاريخ، وهذا ما دفع نابليون بونابرت للقيام بحملته على مصر لمواجهة الإمبراطورية البريطانية بقطع الطريق على الهند جوهرة التاريخ البريطاني، وأهميّة مصر جعلت عمرو بن العاص يركز على ضرورة فتحها، كما أشار إلى قول النبي محمد (ص) لصحابته عن أهل مصر "إنَّهم قوّة وبلاغ إلى عدوّكم بإذن الله، وإنَّهم يكونون لكم عدّة وأعوانا في سبيل الله". ويُشير الكاتب لمؤلفات عدّة منها كتاب "الروح المصرية" للدكتورة نعمات أحمد فؤاد، التي أبرزت نجاح فرنسا في فرنسة شمال أفريقيا، ونجاح بريطانيا في نشر ثقافتها في الهند، وإخفاق أيّة محاولة لتغيير الروح والذاتية والهوية المصرية. ويُبرز الكاتب دور القوّة العسكرية المصرية باستشهاد من النبي محمد (ص) لأصحابه إذ قال لهم "عندما يفتح الله لكم مصر فاتخذوا فيها جندا كثيفا، فذلك خير أجناد الأرض، فإنكم ستجدونهم نعم العون على قتال عدوّكم" بل إنَّ القرآن الكريم ذكرها عدّة مرّات بالاسم، وأحيانا بالصفة في سرده لتاريخ بني إسرائيل، ودور سيّدنا موسى عندما قال له "إنّي أنا ربك فأخلع نعليك إنّك بالواد المقدس طوى" سورة طه الآية 12، ونارها تهدي السائرين "إذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا إنّي آنست نارا لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى" سورة طه الآية 10.. وكلم الله موسى وأعطاه الألواح في سيناء، وأقسم الله بها في سورة التين "والتين والزيتون وطور سينين".. والنقطة السادسة: يعرض المؤلف لشواهد تاريخية عديدة عن دور العسكرية المصرية في ردّ الغزاة من التتار "المغول"، إلى الصليبيين، إلى الاستعمار الأوروبي الحديث، وفي دور هذه العسكرية المصرية في التعبير والعمل من أجل الهوية العربية، كما في حروب محمد علي في الشام والجزيرة العربية والسودان. وإنَّ هذا الدور العسكري في حماية المنطقة، هو الذي يدفع قوى عديدة عبر التاريخ للتكالب على مصر ومحاصرتها وتحديد دورها، كما أوضح ذلك بالمرستون رئيس وزراء بريطانيا في القرن التاسع عشر عندما قال "تحديد مصر في قوقعتها TO CUT IT TO ITS OWN SHELL".. السابعة: دور مصر في إبراز مفهوم العروبة منذ بداية القرن العشرين، وفي إنشاء جامعة الدول العربية والحفاظ عليها، رغم كل التحدّيات والمخاطر والتهديدات، ولذلك تركز القوى الطامعة في السيطرة على المنطقة العربية على مصر لإخضاعها لتسهيل مهمّتها في السيطرة على باقي المنطقة العربية. ويستشهد بأبيات من شاعر النيل حافظ إبراهيم خاصّة قوله: كم بغت دولة عليّ وجارت....

ثم زالت وتلك عقبى التعدي.. الثامنة: يُبرز الكاتب دور الزعيم في التاريخ المصري من الملك مينا موحّد القطرين، إلى أحمس محرر مصر من الهكسوس في الدولة الحديثة، إلى جمال عبدالناصر الذي أصبح ليس زعيماً عربياً بل أفريقيا وعالميا. ويستشهد على دور الزعيم الفرد باقتباس مطوّل من المفكر السوري المشهور عبدالرحمن الكواكبي، ومن أوسكار وايلد الأديب الإنجليزي بقوله "الشخصيات وليست المبادئ هي التي تحرّك الزمن" ويعبر عن الأسف لغياب الزعيم الذي يُعيد لمصر دورها ويُعيد للعرب مكانتهم وخاصّة في ظل تحدّيات القرن الحادي والعشرين.. التاسعة: يتحدّث الكاتب عن بروز التجمّعات دون الإقليمية في المنطقة العربية مثل مجلس التعاون العربي، والاتحاد المغاربي، والمكانة التي يستحقّها العرب بحكم موقعهم الاستراتيجي، وقوّتهم الاقتصادية والعسكرية في حالة نجاح التنسيق بعيدا عن النزعات القُطرية المحدودة والضيقة، ولمصلحة المفهوم العربي القومي الشامل، ويستشهد بمقولة للشاعر "محمد سليمان" "إنّه إذا لم يُرفع الركام الضبابي عن العروبة، فإن المنطقة ستكون مثل ضريح ممتدّ من المتوسط للخليج"، ويشير الباحث في هذا الفصل بعنوان ذي دلالة وهو "التاريخ لا يغفر الذنوب"، ويخلص إلى أنَّه من الخطأ والخطيئة التعامل مع دور مصر بمنظور سطحي.. العاشرة: في الختام يُشير الباحث إلى أنَّ دور مصر الثقافي والعلمي والاجتماعي لم يعد كما كان في الماضي، لكنَّه يتطلّع بأمل أنّ ثورة 25 يناير ربما تُعيد ذلك لسابق عهده من خلال منظور جديد وأدوات جديدة تُساير العصر..

وبعد هذا الاستعراض السريع لدور مصر عبر مسيرة التاريخ القديم والحديث فإنّني أشير ببعض الملاحظات ذات الصلة على المؤلف ومحتويات كتابه القيم.. الملاحظة الأولى: انَّ المؤلف نفسه مسكون بالتاريخ، كما إنَّ مصر مسكونة بالتاريخ، على حدّ وصفه، فهو ناصري من قمّة رأسه إلى أخمص أصابعه، وهو عروبي قومي في فكره وكتاباته، ويرى مصر محور العروبة، ويرفض المفاهيم القُطرية، والرؤى المحدودة، وينتقد مصر السادات، ومصر مبارك، ويستشهد ببعض كتابات محمد حسنين هيكل وغيره من أعمدة الناصرية. وهو محقٌ في ذلك إلى حد كبير وإن كان بعض الناصريين غيروا جلدهم.. الملاحظة الثّانية: إنَّ الكتاب محوره الدور المصري في ارتباطه بثلاثة أبعاد، البُعد التاريخي منذ عصر الفراعنة، والبُعد الحديث في الدولة الإسلامية، والبُعد المعاصر في عهد عبدالناصر، ويسعى المؤلف لنقد سلوكيات حكام مصريين وحكام عرب ولكن بأسلوب رقيق، وقلم نظيف، ولسان عفيف.. الملاحظة الثالثة: انَّ الكاتب فتحي خطاب هو صحافي مخضرم عمل لعدّة سنوات في الأردن، وهو الآن مدير مكتب جريدة "العرب اليوم"، وهي صحيفة تعبر عن الفكر القومي العربي الحديث، من خلال رؤى نخبة من العروبيين وفي مقدمتهم الأستاذ محمد كعوش رئيس تحرير الجريدة، والذي هو شخصية تحظى باحترام وتقدير في الأوساط الأردنية بل على مستوى المثقفين العرب في عدّة دول عربية.. وختاما نقول مهما تكن ملاحظاتنا على الكاتب والكتاب فإنَّه يقدم رؤية موضوعية، إلى حد كبير، عن الدور المصري بعيدا عن الضجيج الإعلامي الدعائيً من بعض الصحافيين العرب.0

□ البحرين- د. محمد نعمان جلال*

* البحرين- خبير الدراسات الدولية والإستراتيجية

اصطياد السحالي في الظلام



□ كوبنهاجن- نيلس هاو*

● خلال المجازر
نتمشى على طول البحيرات غافلين.
تحدثت أنت عن سيمونسكي،
و راقبتُ أنا غراب القيظ
يلتقط فضلات الكلب.
كل واحد منا منغمس في نفسه
مطوقٌ بقوقعة جهل
تقي أهوائنا.
يؤمن الهيوليون
أن فراشة في جبال الهيمالايا
بخفقة من جناحها
بوسعها التأثير على الطقس في القطب الجنوبي.
قد يكون هذا صحيحا.
ولكن
حيث الدبابات تزحف
والأشلاء والدماء
تتقاطر من الأشجار
فليس ثمة ما يتأثر.
البحث عن الحقيقة
كاصطياد السحالي في الظلام.
العنب من جنوب أفريقيا،
الأرز من باكستان،
البلح ينمو في إيران.
نحن مع فكرة الحدود المفتوحة
من أجل الفواكه والخضراوات
لكننا مهما نلف وندور
فالمؤخرة تظل في الخلف.
الموتى يدفنون عميقاً في طيَّات الصحف،
لهذا، دون أن نتأثر،
بوسعنا الجلوس
على مقعد في ضواحي الفردوس
حالمين بالفراشات.

* شاعر دنماركي

«عَـــدُوُّ الـــشَّـــمْـــس»

● بعد انقلاب الفاتح من سبتمبر بالتقويم الأخضر الذي يوافق نزول الإنسان على سطح القمربالتقويم الملون، وبث أول خطاب للعسكري الذي لا يعرفه أحد، تنفس الناس الصعداء لرؤية "بهلوان" يحكمهم وينفس عليهم كربهم وهمهم بتسليتهم وإضحاكهم. ومع مرور الأيام، صار الشعب برمته يطلبه لإضحاكهم بينما يرى العسكري بأنه مطلوب من لدن الجماهير للضرورة التاريخية، فراح يكتب خواطره حيثما تملكه الإلهام والوحي والمس ليجمعها مرتبة ومبوبة في كتاب لا يجمعه جامع ولا يربطه رابط وهو ما حيره لحظة قرار عنونته قبل دفعه للمطبعة. وبعد مخاض وجنون، قرر طبعه بلا عنوان...

لم تنتبه المطبعة إلى نواقص مخطوط قادم للتو من أعلى هرم في السلطة بالبلاد فغلفته على وجه السرعة باللون الأخضر وهمت بالشروع في الإجراءات الإدارية التي تسبق قانونيا النشر ولكنها واجهت مشكلة لدى المساءلة عند مصلحة الإيداع في وزارة الثقافة إذ لا يمكن لكتاب أن يصدر دون عنوان فسماه القيم على المطبعة "كتابا أخضر" نسبة إلى لون الغلاف:

– الأخ القائد العظيم، الكتاب الذي سلمتني إياه كان لابد له من عنوان فسميته بـ"الكتاب الأخضر"، ملتمسا الصفح والغفران من جنابكم المعظم!

– حسنا فعلت! أخضر! هذا هو اللون الذي لم أره في طفولتي بين رمال الصحاري وكثبان الصحاري وعواصف الصحاري...

– ولقد ابتكرت لك إيماءة تليق بظهورك كـ"ثائر" و"محرر" و"مخلص": إيماءة القبضتين المشدودتين إلى بعضهما بعضا: رمز الوحدة!

– حسنا فعلت، أيها الخديم المطيع! الوحدة، هذا هو دوائي من الصراع الذي يعبث بأحشائي وأوصالي ودواخل ذاتي. الوحدة، هذه هي وصفتي!

أعجبت العقيد، زعيم الثورة، الفكرة فتبناها شعارا لحياته وسياسته وثورته وَلِبشْرة شعبه فصار ينسب كل شيء إلَى الخضْرة فحول العلم الثلاثي الألوان إلى علم أخضر وسمى الساحات باللون الأخضر ووسم الجرائد بالأخضر لكنه تردد كثيرا في تسمية ابنه البكر بـ"الأخضر" لأنه علم بأن الاسم شائع في الجزائر، الدولة الجارة، إلى درجة العامية فعدل عن التسمية التي قد تضر بمستقبل ابنه:

"أيها الشعب العظيم، إن وحدة الشعوب من وحدة الخطاب المتداول بينها. لذلك، فقد عكفت مؤخرا على إعداد كتاب يكون مرجعا لكم في وضوئكم وصلاتكم وَحَجكم وشهادتكم وموتكم وبعثكم. وهذا سيتطلب مصادرة كل الكتب الوافدة من الخارج ومراقبة كل الكتب المطبوعة في الداخل. وحده "الكتاب الأخضر" حر في التداول وحاضر في كل ربوع البلاد حيثما انتصبت الرفوف: في البيوت ومقرات العمل والأرصفة والسهول والهضاب والوديان والتلال والجبال. وحده "الكتاب الأخضر" يقرأ ويشرح في كل مكان. ولهذا الغرض، تم فتحُ باب التطوع في وجه المناضلين والمكافحين والمجاهدين والمقاومين من الأحرار لتحمل المهمة. كما تم إحداث آلات ثابتة على جنبات الأرصفة على شكل "دجوك بوكس" جاهزة لقراءة "الكتاب الأخضر" مقابل إلقاء قطعة معدنية من فئة دينار واحد في شقة الجهاز الآلي أما تفسير "الكتاب الأخضر" فلقاء دينارين...

"الكتاب الأخضر" كتاب مقدس نزل على شخصنا الكريم هذا في بلدنا الحبيب هذا قبل أن يزحف على العالم قريبا وأهم نبوءاته: مفهوم الجماهيرية والعمل الجماهيري. إن مفهوم الجماهيرية مفهوم جديد يختلف عن الملكية الوراثية التي تستمد قوتها من شخص واحد ويختلف عن الجمهورية التداولية التي تستمد مشروعيتها من ممثلي الشعب. إن نبوة "الكتاب الأخضر" تتمثل في كون الجماهيرية تستمد مشروعيتها من الشعب مباشرة دون وصاية أو تمثيلية. وبهذه الطريقة، لن يبق ثمة حاجة إلى المنظمات أو الجمعيات أو الأحزاب أو النقابات. لقد أوقفنا التاريخ، فلا أحزاب بعد اليوم ولا نقابات ولا جمعيات، لا نقد ولا محاسبة ولا مطالب ولا أسئلة، لا كتب مقدسة، لا شيء غيري وغير كتابي وخطبي. نحن في عجلة من أمرنا فالتاريخ ينتظرنا ولا حاجة لنا بمحترفي وضع العصي في العجلات".

لم يخطر على بال العقيد في أي لحظة من لحظات الماضي القدرة السحرية لكرسي السلطة على تحقيق الأحلام المستحيلة. فبمجرد استيلائه على الكرسي عام نزول الإنسان على سطح القمر، صار "مفكرا" بإصدار وحيد عنوانه "الكتاب الأخضر"، و"ثائرا" بفضل انقلاب على ملك بلغ من العمر عتيا، و"محبوب الجماهير" بفضل ظهوره اليومي على الشاشات: الكبرى والمتوسطة والصغرى... لكنه، حين كان يختلي بنفسه كان بالكاد يصدق بأنه "رئيس دولة". وخطرت على باله أفكار متناسلة:

"ما دام العالم سيعرف وضعي الجديد كرئيس، فَعَليَّ بترقيتي لنفسي كرئيس مدى الحياة بصفة مقبولة لدى كل الطبقات والفئات والأوساط: صفة "زعيم" تفي بالغرض. أما أجيال المستقبل، فعليها أن تعرف بأنني حكمت. لذلك، عليها إما أن تقرأ ذلك في أمهات الكتب كـ"الكتاب الأخضر" أو أن يضع أحدهم يده على كنز يحمل اسمي في الصحراء أو البحرثم يشيع الخبر فيعود اسمي ثانية إلى الهواء ينعش المتنفسين ويغذي الجوعى للمعرفة والحقيقة. ولأنني صرت رئيس دولة، فقد وجب على العالم أن يعرف ذلك وأن يكتب الجميع عنه. هذا بالطبع سيعني حضوري يوميا على وسائل الإعلام ولو بسرد النكت أو خلق طرائف في المؤتمرات أو اقتراح المبادرات المضحكة......

ثورته على الملك تلتها ثورته على زوجته الأولى فكان أول ضحايا الثورة هو ابنه البكر من زوجته الأولى لأنه من جيل حكم الملك. أما الأولاد الذين ازدادوا في حضن الثورة فكانوا يحملون في جيناتهم لون الثورة: اللون الأخضر.

في تصميمه لقصور ما بعد الثورة على الملك وعلى زوجته الأولى، أطلق العقيد الثائر ثورته الثانية الخاصة بالمعمار. فقد بدأ يلح على تقوية "العالم السفلي" من القصور: السراديب. وفي تصميم الساحات، بدأ يلح على علو الجهة التي سيقف فوقها لإلقاء الخطب. أما في تصميم السجون، فقد بدأ يلح على ضرورة تبني تقنية الأقفاص الحديدية المستقلة المغطاة بالإسمنت المسلح...

بعد ثوراته الثلاث، التي قام بها وحده ضد الملك وضد زوجته الأولى وضد نماذج العمارة التقليدية في تشييد السجون والقصور، قام العقيد بثورة رابعة: الثورة على الذكور من الجنود، بقايا رموز عهد الملكية البائد، معينا العسكريات النساء محلهم فكانت من بينهن نساء حارسات شخصية، ونساء طبيبات، ونساء ممرضات، ونساء مروضات، ونساء مدلكات، ونساء زيجات، ونساء خليلات...

وحين شعر الجنود الذكور بأنه لم يبق لهم نساءٌ، ثاروا عليه في انقلاب صاخب:

– "حراسه نساء، جيوشه مرتزقة... ولماذا نحن هنا؟ أمجرد ديكور؟!"

أحبطت الجنديات النسوة الانقلاب ورفعن أسهمهن في عيني العقيد الثائر الذي بدأ يفكر في ثورة خامسة. فقد كانت الشركات الأجنبية تأخذ تسعين بالمئة وتترك للشعب الليبي عشرة بالمئة. لذلك، قام العقيد بـ"تأميم" النفط فصارت الشركات الأجنبية تأخذ فقط عشرة بالمئة بينما هو وأسرته يأخذون التسعين بالمئة المتبقية ويجرون "العقود الخاصة" مع الدول تحوّل بموجبها الأموال إلى الحسابات الخاصة لعائلة القذافي المصغرة والممتدة حتى إذا ما اسْتُفزَّ، استدعى الكاميرا والميكروفون وارتجلَ خطابا يقول فيه:

– "أنا المجد! لقد أممت النفط! لقد صيرت النفط في يد الشعب! أنا المجد والمجد لي! أنا هو الشعب والشعب هو أنا! صوت الشعب هو صوتي، وروح الشعب هي روحي، ومزاج الشعب هو مزاجي، وثروة الشعب هي ثروتي، وحساب الشعب البنكي هو حسابي، وتلفزته تلفزتي، وإذاعته إذاعتي، وما يريد الشعب قوله أو فعله أقوله وأفعله نيابة عنه. ولهذا السبب الأخير، رَبَطتُ استوديو الإذاعة والتلفزة الليبية بغرفة نومي حتى أعيش لقضية بلدي في صحوي ونومي..

قرب فراشه، ثبت زرا يرتبط آليا بمركز البث الإذاعي والتلفزي في العاصمة حتى إذا ما لم يعجبه برنامج من البرامج المباشرة والمسجلة، ضغط، من تحت غطائه على السرير، على الزر فتتوقف البرامج أو يتوقف البث برمته. أما عندما لا يروقه برنامج على فضائيات أجنبية، فيهاتف إدارة الاستخبارات التي تبدأ للتو برشق الفضائية المعنية في القمر المعين مباشرة من "فيللا الاستخبارات" بالرسائل الخاطئة والرموز المشوشة فتعطل عمل الفضائيات المزعجة أو تشل حركتها بالمرة...

وبينما بدأ العقيد الثائر يفكر في ثورة أخيرة يستبدل فيها رفاقه وأفراد نظامه وحكوماته بأبنائه الذين ولدوا بعد ثورته ونموا في حضنها وترعرعوا في قصورها وثرواتها وممتلكاتها، آنئذ عاوده الكابوس القديم ثانية، رجال بلباس روماني قديم يحاولون اللحاق به بجنون وهم يجرون في مكانهم متوعدين:

– "جاين لك، يا معمر! جاين لك!"...

– "من أنتم؟!"...

ثم تتوالى الأسماء والمسميات على مسامعه:

– "أنا نيرون!"
– "أنا كاليغولا!"
– "أنا كركلا!"
– "أنا...!"

الفصل الثاني من رواية: "عَدُوُّ الشَّمْس"، البَهْلَوَانْ الذي صَارَ وَحْشاً اهداء من الروائي "العرب اليوم".0



□ الرباط- محمد سعيد الريحاني